مَوْسُوعَةُ
فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ الإِخلاصِ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة الإخلاص

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة الإخلاص

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾

توضح وتبين سورة الإخلاص عظيم أسماء الله الحسنى، وصفات الله تعالى العليا، إذ قال جَلَّ جلاله ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ قل بلسانك واعتقادك وأنت مؤمنون ومصدق بأن الله تعالى واحد لا شريك له، ولا مثيل له في أسمائه وصفاته، فهو المتفرد بالكمال في الأسماء وفي الصفات، وفي الأقوال، وفي الأفعال، وفي التدبير، وفي كل ما هو له عَزَّ وجل. وليس له والد ولا ولد، ولا زوج، ولا شريك، فربكم هو الواحد المتفرد في ملكه، ولا شبيه، ولا مثيل له عَزَّ في علاه.

وكذلك فإنه عَزَّ وجل هو ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ هو الله الواحد الأحد المقصود في قضاء الحوائج، ودفع الشرور والضُّر والأضرار، ومفرج الكربات. فعن ابن عباس رضي الله عنهما: السيد الذي قد كَمُل سُؤدَده، والشريف الذي قد كَمُل في شرفه، والعظيم الذي قد عَظُم في عظمته، والحليم الذي قد كَمُل في حلمه، والغني الذي قد كَمُل في غناه، والجبار الذي كَمُل في جبروته، والعالم الذي كَمُل في علمه، والحكيم الذي كمل في حكمته. وهو الذي قد كَمُل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي لأحد[١] وقال الزجاج رحمه الله تعالى: هو الذي ينتهي إليه السؤدد، فقد صمد له كل شيء، أي: قصد قصده. قال ابن الأنباري رحمه الله تعالى: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد: السيد الذي ليس فوقه أحد، تصمد إليه الناس في أمورهم، وحوائجهم[٢] فهو الله عَزَّ في علاه، الواحد الأحد المقصود في قضاء الحوائج، ودفع الشرور والضر والأضرار، ومفرج الكربات. لا إله غيره عَزَّ في علاه.

---

(١) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٧٣٦/٢٤)

(٢)ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٣٣١/٨)

وبعد بيان الله تعالى بأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، ينفى عن نفسه عَزَّ وجل أن يكون له والد أو ولد، فقال جَلَّ جلاله ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فإن من كمال ربكم وكمال عزته وغناه عن غيره، وأنه هو الغني المغني، فإنه ليس له جَلَّ جلاله ولد ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ ليس له ولد ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ وليس له والد. وبالتالي فإن ربكم هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء عَزَّ وجل. كما قال تعالى في سورة الحديد ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ إن ربكم هو الأول، فليس قبله شيء. ﴿ وَٱلْآخِرُ ﴾ فليس بعده شيء سبحانه وتعالى. ﴿ وَٱلظَّٰهِرُ ﴾ فليس فوقه شيء جَلَّ في علاه ﴿ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ فليس دونه شيء تبارك وتعالى. وورد في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء. اقض عنا الدين، واغننا من الفقر)[١] وهذا البيان هو بيان عظيم من الله تعالى عن ذاته الكريمة، التي استوفت أن الله قبل كل شيء، بلا ابتداء، وبالتالي فليس شيء قبله، وأن البقاء لله وحده لا شريك له عَزَّ وجل. وأنه صاحب العلو والعزة والرفعة والغلبة والقهر، فليس هناك شيء أرفع منه جَلَّ جلاله. والعالم ببواطن الأمور، فليس هناك ما يخفى عليه تبارك وتعالى، إذ ليس دونه شيء تبارك وتعالى.

وفي هذا رد وتكذيب لمن قال: بأن الملائكة بنات الله تعالى، من أهل الشرك، وكذلك فيه رد وتكذيب قاطع لقول اليهود: عزير ابن الله تعالى، وقول النصارى: المسيح ابن الله. فقد بَرَّأ الله تعالى نفسه من ذلك، ليصحح بهذا القرآن عقائد الكافرين. وقد قال الله تعالى في سورة الإسراء ﴿ أَفَأَصْفَٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ أخَصَّكم واصطفاكم الله تعالى في عطائه بالذكور الذين هم البنين، واتخذ لنفسه على زعمكم الملائكة إناثاً، إنه سؤال استفهام، يحمل العتاب والتوبيخ والتقريع على هذا الافتراء منهم، ثم شدد في لومهم وتقريعهم ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ إنكم لتقولون بهذا الافتراء قولاً قوياً، بالغاً في الجراءة على الله ربكم سبحانه وتعالى، فإن في دلالة الإنكار على قولهم تعظيم لفساد المقول والقائلين، بل يزداد تعظيماً وتهويلاً بوصف قولهم وافترائهم بأنه لقول العظيم ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ فهو عظيم في انحرافه عن الحق من كل وجه، مما يدل على أن هناك من يتجرأ على الله عَزَّ وجل بما لا يليق، وأنهم يُفَصِّلُون الأمر كما يشتهون ويحبون، إلى درجة تقديم أنفسهم على الله تعالى. فنسأل الله تعالى الهداية والعصمة والتوفيق.

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، برقم (٢٧١٣)

وقالت اليهود كما قال الله تعالى عنهم في سورة التوبة ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ وعزير كان في أهل الكتاب. وأما النصارى فقال الله تعالى عن افترائهم ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ أي عيسى ابن مريم ابن لله تعالى، وهذا القول منهم هو قول قد تلفظوا به بأفواههم وليس معهم عليه حجة ولا دليل، وإنما هو افتراء وكذب، فتعطي هذه الجرأة منهم بياناً وشهادة على أنهم كاذبون، وقد افتروا على الله تعالى بما لا يليق بمقامه وعزته وجلاله سبحانه وتعالى، فلا يستحقون الإيمان الذي يوجب الطاعة والاتباع، ولذلك لا إيمان لهم، بل يلتقون مع الكافرين في افترائهم. ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ فيشابهون بهذا الافتراء من سبقهم من أهل الكفر، كما افترى اليهود بقولهم عزير ابن الله، وافتراء المشركين بقولهم الملائكة بنات الله ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ لعنهم الله على صنيعهم هذا من الافتراء على الله تعالى.

وبعد أن أفرد الله تعالى ذاته بأنه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يُولد، وليس له زوجة، وأنه الأول والآخر والظاهر والباطن ينفي بعد ذلك سبحانه وتعالى نفياً قاطعاً وجازماً من أن يكون من مخلوقاته من يماثله في شيء أبداً. فقال الله عَزَّ وجل ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ فليس لله تعالى مثيل ولا شبيه ولا مكافئ. فمعنى الكفو: المماثل والمكافئ. فليس هناك أحد يعادل الله تعالى ويماثله في شيء من أسمائه وصفاته، وقدرته، وقهره، وملكه، وسلطانه، وفي كل أمر وشأن. فهو الواحد الأحد المتفرد بالكمال والجمال، وأن جميع غيره هم خلقه عَزَّ في علاه. كما قال تعالى في سورة الشورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ليس هناك شبيه ولا مثيل لربكم في كل شيء، فاستوعب النفي إثبات الكمال الذي لا يُقاس بأحد من خلقه، واستوعب النفي المماثلة في الخلق والإيجاد والتدبير والقهر والسلطان، وفي الأسماء وفي الصفات الجليلة. ليتعلم العبد بهذا البيان ألا يقيس صفات وأفعال الله تعالى وقدرته على شيء من خلقه.

وبهذا البيان العظيم والمجيد لله تعالى الذي تضمنته سورة الإخلاص، فإن قراءتها تعدل ثُلث القرآن كما قال صلى الله عليه وسلم (أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليله ثُلُث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثُلُث القرآن؟ قال ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثُلُث القرآن)[١] مما يبين عظيم فضلها، وعظيم ثوابها لمن قرأها، وذلك لعظيم مضمونها، حيث تفردت بأنها عن الإخلاص لله تعالى، ببيان عظيم أسمائه وصفاته جَلَّ جلاله.

(١) مسلم، صحيح مسلم، برقم (٨١١)

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة الإخلاص. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.